أ. الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني
عضوا لمجلس الاعلى للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية

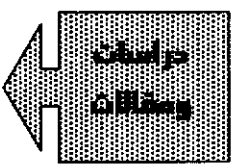

أهل السنّة عند الشيعة الإماميّة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطاهرين وصحبه الميامين والتابعين لهم بإحسان الى يوم الدين.

أمّا بعد: الإسلام هو ما جاء به نبيّنا محمّد ذكراً وهدايةً للعالمين جميعاً، والمسلمون هم الذين آمنوا بماجاء به وبكلّ من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واعترف بكل ماجاء به ولم ينكر اصلاً من أصول الدين الثلاثة: التوحيد والنبوة والمعاد، ولا شيء من الضّروريات ودعائم الإسلام كالصلاة والزكاة والصّوم والحجّ والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يُحلّ ماحرّم الله في كتابه ورسوله في سنتّه: مثل الزّنا، والسرقة والخمر، والميسر، وشهادة الزّور، والخيانة في الامانة ونحوها.

اعتقاد الشيعة الإمامية في أهل السنة على سبيل الإجمال: أنّهم أمة واحدة، وأنّ المؤمنين إخوة وأنهم جميعاً أهل القبلة، وأن دماءهم وأموالهم وأعراضهم

حرام بحرمة الاسلام يجب الحفاظ عليها، ويحرم التعدّي عليها. وتؤكل ذبيحتهم وتقبل شهادة العدول منهم، ويجهّز موتاهم ويدفنون في مقابرهم، ويصادقونهم في عقودهم وتجاراتهم ومعاملاتهم ويزوّجونهم ويتزوجون منهم، وأنّ أولادهم جميعاً طيبّون.

وأن بلادهم شرقاً وغرباً هي دار الاسلام لها حرمة الاسلام يجب الحفاظ عليها وبثرواتها، وباستقلالها، والدّفاع عنها قبال أعدائهم من غير المسلمين، كما تجب المداخلة بينهم إذا اقتتل بعضهم بعضاً فيجب الصلح بينهم والقتال مع الباغي منهم.

وأنّ حديث الثقاة منهم مقبول يُعمل به، إذا لم يكن مخالفاً لكتاب الله، ولا يعارضه ماهو أصح وأوثق منه مرويّاً عن أئمتهم من آل البيت عليهم السلام.

ويجوز التعلّم عندهم وتعليمهم، والحج معهم واتّباعهم في جميع المشاهد المشرّفة وفي جميع المناسك، ويجوز بل يجب الاشتراك في صلواتهم ومناسكهم إلى غير ذلك من مواقفهم المشروعة، ولا سيّما الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حوزة الإسلام، وعن مواريث المسلمين الاقتصادية والثقافية وغيرها.

ويعتبرون اجماع فقهاء المذاهب في المسائل الاتفاقية حجّة يهتمون بذكرها في كتبهم الخلافية.

ويترجمون أعلام المذاهب الإسلاميّة والمؤلفين لهم في كتبهم ضمن تراجم العلماء بكلّ إجلال وتبجيل.

ويقفون إلى جانب المسلمين عامّة أمام أعدائهم من الكفّار،ويدافعون عن حوزة الإسلام شرقاً وغرباًاهتماماً بأمور المسلمين وعملاً بقول نبيّهم «من

أصبح ولم يهتمّ بأمور المسلمين فليس بمسلم».

هذا هو الإجمال. أمّا التفصيل فكما يأتي:

أولاً – في تحديد الإسلام والمسلم:

جاءت روايات في كتاب «الكافي» للشيخ الكُليني المتوفّى عام ٣٢٩هـ، و هو أحد الكتب الأربعة وأقدمها في الحديث للشيعة الإمامية - بهذا النصّ عن أبي عبد الله الصادق - سادس أئمة أهل البيت-: «الإسلام شهادة أن لا اله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله والثواب على الايمان، و«الإسلام يُحقن به الدماء، وتُؤدي به الأمانة، وتُستحلّ به الفروج، والثّواب على الايمان»[١].

وهذا النصّ موافق للآية الكريمة: «قالت الأعراب أمنّا قل لم تُؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخل الإيمان في قلوبكم» (الحجرات/ ١٤).

وفي هذا المجال يقول الإمام الشيخ جعفر كاشف الغطاء - أحد الفقهاء الكبار في القرن الثالث عشر - المتوفّى (عام ١٢٢١هـ) في كتابه «كشف الغطاء» باب الاجتهاد ص ٣٩٨[٢]: «يتحقّق الإسلام بقول أشهد أن لا اله إلاّ الله، وأن محمّداً رسول الله، أو بما يرادفه من أيّ لغة كان وبأيّ لفظٍ كان، فمن قاله حُكِم بإسلامه، ولا يُسأل عن الصفات الثبوتيّة ولا السلبيّة، ولا عن دلائل التوحيد وشواهد الرسالة».

ثانياً - في تحديد العقيدة الإسلاميّة بين الفرق الكلاميّة:

قال الشيخ محمد جواد مغنية(رحمه الله) [٣] رئيس المحكمة الشرعية الجعفريّة العليا في بيروت سابقاً «... أمّا الحقيقة التي نُؤمن بها فهي أن كُلاًّ من الإماميّة والمعتزلة والأشاعرة - فرقة من الفرق الإسلامية تستقلّ بمبادئها وتعاليمها - ثم ذكر جملة مما أجمع عليه المسلمون - فقال: اجمع المسلمون

كافّة على ثبوت أصل الشفاعة.. اتّفق المسلمون كافّة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واختلفوا هل يجبان بالسمع أو بالعقل - ثم ذكر خلالها ما اختلفت فيه هذه الفرق من فروع العقيدة».

وهذا موافق لقول امام الأشاعرة الشيخ أبي الحسن الاشعري المتوفّى عام ٣٢٤هـ، في كتاب له سمّاه «مقالات الإسلاميّن واختلاف المصلّين» فقد ذكر الفرق الإسلاميّة جمعاء مع اختلافهم في شيء من العقيدة والشريعة، وأطلق عليهم جميعاً «المسلمين» و«المصلّين»، ومن جملتهم الشيعة الإماميّة فذكر عقيدتهم في الإمامية وفي الإمام المهدي عليه السلام.

ثالثاً - في حقل الشريعة والأحكام:

الشيعة الإماميّة يطرحون كثيراً من المسائل المتفق عليها والمختلف فيها بين فقهاء الإسلام من غير فرق بين فريق وفريق وبين مذهب ومذهب من المذاهب الفقهيّة.

وقد ألّفوا في اختلاف المذاهب كتباً: أولها كتاب «مسائل الخلاف» لشيخ الطائفة الإماميّة محمد بن الحسن الطوسي، المعروف عندهم بالشيخ الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) فهو كثيراً ما يقول رأيه في مسألة ثم يقول ويوافقنا جميع المذاهب أو جميع الفقهاء، قال في مقدمة الكتاب[٤]: «سألتم - أيدكم الله - املاء مسائل الخلاف بيننا وبين جميع الفقهاء من تقدّم ومن تأخر»[٥].

وقد لخصّه الشيخ مُفلح بن حسن بن رشيد الصيمري - من فقهاء القرن التاسع توفّى بعد عام ٨٧٣- باسم «تلخيص الخلاف» وقال: «لأنّ الغرض من هذا الكلام معرفة مذاهب الاسلام ومعرفة مسائل الاجماع وما وقع فيه النزاع»[٦]. فكثيراً ما يذكر رأيه ثمّ يقول: «وبه قال جميع الفقهاء». ويقول في ص ٩٠:

«ولا خلاف بين الفقهاء أن اوّل وقت العشاء الآخرة غيبوبة الشَّفق، وإنّما اختلفوا في ماهيّة الشفق هل هو الحمرة أو البياض...».

ويقول صفحة ١٠٣: «الكعبة هي القبلة (باجماع المسلمين) ويقول في ص ٢١: «ويجوز الوضوء بماء البحر... وبه قال جميع الفقهاء».

ويقول: «قال الشيخ - أي الطوسيّ - وجميع الفقهاء إلاّ مجاهداً: يجوز الوضوء بالماء المُسَخَّن».

ويقول: «لا يجوز الوضوءبشيء من المايعات غير الماء، وهو مذهب جميع الفقهاء...».

وقد حرّر كتاب «مسائل الخلاف» للشيخ الطوسي عالم كبير هو أمين الإسلام الشيخ فضل بن الحسن الطَبرسي المتوفى عام ٥٤٨هـ - وهو مفسّر كبير صاحب تفسير «مجمع البيان في علوم القرآن» فَسمّى كتابه المحرَّر باسم يُومى إلى الألفة دون الفرقة، وإلى إكرام الفقهاء، دون الإهانة بهم - على الرغم من أنه في مسائل الخلاف - ألا وهو «المُؤتَلَف من المختلف بين أئمة السَلف».

وجاء في مقدمته[٧] من كلام أحد المصحّحين: «من الجدير بالذكر أن كتب الإمامية في الفقه مُنذ عصر السّيد المرتضى - وهو علم الهدى أخ السّيد رضي توفي عام ٤٣٦هـ - والشيخ الطوسي حتى عصر الشّهيدين - وهما فقيهان من جَبَل عامل أستشهدوا أيام العثمانيين - ضمّت آراء المذاهب المعروفة للمسلمين من غير أتباع أهل البيت عليهم السلام -٠ ثم ذكر كُتبا في هذا الصدد - وقال: «في كتاب مسائل الخلاف للشيخ الطوسيّ أهميّة خاصّة من حيث الموضوع الذي طرقه، وشموله واحتواءه على آراء فقهاء مختلف المذاهب

الإسلامية.. وقال: «اول من قام بذكر آراء المذاهب هو السيّد المرتضى، وتبعه الشيخ الطوسي، لأن المرتضى لم يتمّه».

والطوسي كان من أكبر تلامذة المرتضى، وقد قام مقامه في إقامة المذهب بعد رحيله رحمهما الله تعالى.

رابعاً - في حقل التراجم:

للشّيعة الإماميّة كتبٌ كبار وصغار في تراجم علمائهم خاصّة مثل كتاب «أعلام الشيعة» للعلاّمة محمد محسن الطهراني المعروف بـ «الشيخ آغا بزرگ» المتوفى عام ١٣٨٩هـ، وله كتاب كبير في مؤلّفات الشيعة باسم «الذريعة في تصانيف الشيعة» وهو أحد مشايخنا في إجازة رواية الحديث وهذا الكتاب يعمُّ تراجم العلماء وسائر الشخصيات الكبار لهذه الطائفة. إلى جانب هذه الكتب للشيعة كتب ذكروا فيها تراجم علماء الاسلام قاطبة من جميع المذاهب مع مالهم من المؤلّفات، وما لكلّ واحد منهم من جميل الأعمال في سبيل الثقافة الإسلاميّة وحماية الإسلام، فترجموا لهم بكل احترام وتوقير، وبأوصاف حميدة مثل: «العلامة الكبير» و«الإمام الجليل» و«المحقّق البارع» ونحوها.

وهذا مثل كتاب «روضات الجنّات» للعلاّمة السّيد باقر الخوانساري الإصبهاني المعروف بـ «صاحب الرّوضات» المتوفى عام ١٣١٣هـ، ومثل كتاب «الكُنى والألقاب» للمحدث الكبير الشيخ عبّاس القمّي المتوفى عام ١٣٥٩هـ، وغيرهما كثيرون.

خامساً - في حقل اهتمام الشيعة بأمور المسلمين:

وقف الشيعة إلى جانب إخوانهم المسلمين شرقاً وغرباً، فيكفيكم موقف

علماء الشيعة من هجوم إيطالياً على ليبيا، واحتلال انكلترا للعراق بعد سقوط الخلافة العثمانية، وقبلها احتلال روسيا لآسيا الوسطى، وموقفهم من حرب الجزائر مع فرنسا والقارة الهندية مع انكلترا واندوسيا وكافة البلدان المستعمرة في آسيا و افريقا الذين نهضوا لكسب الاستقلال فكان للشيعة أياد بيضاء في حماية هذه البلاد المسلمة ضد المستعمرين.

ومن ابرز هذه المواقف حمايةً للمسلمين هو مواقفهم الجميلة الصارمة تجاه اخوانهم الفلسطينيين من أول احتلال بلادهم من قبل الصهاينة الألداء. وقد علمتم موقف الإمام الخميني(رحمه الله) حيال هذه القضية الكبرى وإعلانه آخر يوم جمعة من شهر رمضان «يوم القدس» واقترح على المسلمين أن يقوموا جميعاً في هذا اليوم بالمظاهرات ضد الصهيونية دفاعاً عن القدس الشريف والشعب الفلسطيني الأبي ففي كل سنة تحتفل الشيعة ومعهم إخوانهم في بعض البلاد الإسلاميّة وفي العواصم الاروبية بكلّ اهتمام بـ «يوم القدس» وانكم تسمعون وترون في التلفزة هتافاتهم وخطاباتهم في كل بلد حيث تتجاوز اعدادهم الملايين يهتفون بـ «الموت لإسرائيل».

فهل هناك شكّ بعد ذلك كلّه في موقف الشيعة حيال اخوانهم من أهل السنة؟

سادساً: في الحديث عن التقريب بين المذاهب الإسلامية:

إنّ مسألة التقريب بين المذاهب والوحدة الإسلامية طُرحت منذ حياة القائد الكبير والفيلسوف العظيم: السّيد جمال الدين الأسد آبادي المعروف بالأفغاني المتوفّى عام ١٣١٥هـ، وصاحبه وأكبر تلامذته: الإمام الشيخ محمّد عبده مفتي الديار المصرية، المتوفى عام ١٣٢٣هـ وقد تبعهما علماء مصلحون من بعدهما

في الأقطار الإسلاميّة، ولاسيّما في «مصر» حتى قرب منتصف القرن الرابع عشر فقد قيض الله رجالاً من شيوخ الأزهر الشريف ممن تعلّموا أو تأثّروا بالإمام عبده، ورجالا من ساير البلاد من فقهاء الإماميّة والزيديّة كالإمام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في النجف الأشرف والإمام السيد شرف الدين العاملي المتوفّى عام ١٣٨١هـ ، من لبنان، والامام آية الله السيد حسين الطباطبائي المتوفّى عام ١٣٨٠هـ ، والعلامة الشيخ محمد تقي القمّي المتوفّى عام ١٤١٣هـ ، وغيرهما من ايران وعلماء من الزيديّة من اليمن، لتأسيس دار باسم «دار التقريب بين المذاهب الاسلاميّة» وجماعة باسم «جماعة التقريب بين المذاهب الإسلاميّة» في القاهرة.

وقد لحق بهم آخرون من ساير المذاهب الإسلاميّة في ساير البلاد، وأعانوهم ولَبُّوا دعوتهم المباركة بقلوبهم. ولدار التقريب حديث طويل كتبه الامين العام لها، الأستاذ الجليل القمّي في مقالٍ له باسم «قصّة التقريب» ونُشرت في مجلة رسالة الاسلام[٨] الناشرة دعوة هذه الدار في شتّى المواضيع الإسلاميّة فقهاً وعقيدةً وتفسيراً وتاريخاً وثقافةً وأدباً. وهذه المجلّة عديمة النظير بين المجلات الاسلاميّة. وكان من أكبر الاعضاء المؤسسين لدار التقريب إمامان تسنَّما منصب شيخ الأزهر: أحدهما الإمام الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم وثانيهما الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت، وهو الذي تصدّى لبحث التفسير في تلك المجلة مادام حيّاً، وهو الذي أفتى بجواز تقليد المذاهب الفقهية المعروفة، ومنها المذهب الشيعي الإمامي، والمذهب الشيعي الزيدي، وكان لهذه الفتوى الكريمة صدى في الأوساط العلمية الإسلامية يوم ذاك.

وإني لا أريد اطالة الحديث عن دار التقريب وأعماله الطيّبة المُثمرة، ولا عن

مجلّتها رسالة الاسلام وإنما أتلو عليكم ما يتعلّق ببحثنا ويؤيده من خلال ابحاثها القيّمة المتنوّعة.

أوّل ما أتحدّث عنه هو نص تلك الفتوى الشرفة للامام الأكبر الشيخ محمود شلتوت:

«قيل لفضيلته: إنّ بعض الناس يرى أنّه يجب على المسلم لكي تقع عباداته ومعاملاته على وجه صحيح أن يقلّد أحد المذاهب الأربعة المعروفة، وليس من بينها مذهب الشيعة الإماميّة، ولا الشيعة الزيديّة، فهل توافقون فضيلتكم على هذا الرأي على إطلاقه فتمنعون تقليد مذهب الشيعة الإمامية الإثنا عشرية مثلاً؟

فأجاب فضيلته:

١- إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه اتّباع مذهب معيّن، بل نقول: إن لكلّ مسلم الحقّ في أن يُقلّد بادي ذي بدء أيّ مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً، والمرويّة أحكامها في كتبها الخاصّة. ولمن قلّد مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره - أيّ مذهب كان - ولا حرج عليه في شيء من ذلك.

٢- إنّ مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإماميّة الإثنا عشرية مذهب يجوز التعبُّد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنّة.

فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك وأن يتخلّصوا من العصبيّة بغير الحق لمذاهب معينّة، فما كان دين الله، وما كانت شريعته بتابعة لمذهب، أو مقصورة على مذهب، فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يُقرّرونه في فقههم ولا فرق في ذلك

بين العبادات والمعاملات» [٩].

ثمّ نتبعها بحديث للإمام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله: وهو من صميم موضوع بحثنا: قال رحمه الله في مقال له بعنوان «بيان للمسلمين» [١٠].

«... نعم إنه (رفع الخلاف) لمن المستحيل إن لم يكن عقلاً فعادةً: إذ لو كان الغرض هو إزالة الخلاف بين المذاهب الإسلاميّة، وجعلها مذهباً واحداً سُنّياً فقط، أو شيعيّاً فقط.أو وهّابياً، كيف واختلاف الرأي والخلاف في الجملة طبيعيّة ارتكابه في البشر، ولعلّ إليه الإشارة بقوله تعالى: (ولايزالون مختلفين إلاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم) (سورة هود/ ١١٨) أي للرحمة أو للاختلاف على الخلاف!!!

ولكن ينبغي أن يكون من المتيقن به أنه ليس المراد من «التقريب بين المذاهب الاسلامية» إزالة الخلاف بينها، بل أقصى المراد وجُلّ الغرض هو إزالة أن يكون هذا الخلاف سبباً للعداء والبغضاء، الغرض تبديل التباعد والتضارب، بالإخاء والتقارب، فإن المسلمين جميعاً مهما اختلفوا في أشياء من الأصول والفروع، فإنّهم قد اتفقوا على مضمون الأحاديث المقطوع عندهم بصحتها من «أن من شهد الشهادتين واتخذ الاسلام ديناً له، فقد حَرُم دمه وماله وعرضه، والمسلم أخ المسلم، وأنّ من صلّى إلى قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، ولم يتديّن بغير ديننا فهو منّا، له مالنا وعليه ما علينا».

ثم أدام بحثه في مغزى التقريب والتأكيد على رفض التباغض بين المسلمين، وأنهم جميعاً متفقون على أن القرآن العزيز وحيٌ من الله، والقرآن صريح في لزوم الاتّفاق والوحدة والإخاء، وأن رابطة القرآن تجمعهم في كثير

من الأصول والفروع... قال:

نعم أعظم فرق جوهريّ، بل لعلّه الفارق الوحيد بين الطائفتين: السنّة والشّيعة هو قضيّة الإمامة حيث وقعت الفرقتان منها على طرفي الخطأ، فالشيعة ترى أن الإمامةأصلٌ من أصول الدين (المذهب)، وهي رديفة التوحيد والنبوّة، وأنّها منوطة بالنصّ في الله ورسوله وليس للأمّة فيها من الرأي والاختيار شيءٌ، كما لا اختيار لهم في النبوّة، بخلاف إخواننا من أهل السنّة، فهم متفقون على عدم كونها من أصول الدين، واختلفوا بين قائل بوجوب نصب الإمام على الرعيّة بالاجماع ونحوه، وبين قائل بأنها قضيّة سياسيّة ليست من الدّين في شيء، لا من أصوله، ولا من فروعه.

ولكن مع هذا التباعد الشاسع بين الفريقين في هذه القضيّة، هل تجد الشيعة تقول إنّ من لا يقول بالإمامة غير مسلم؟ (كلاّ ومعاذ الله)، أو تجد السنّة تقول إن القائل بالإمامة خارج عن الإسلام؟ -- ولا وكلاّ - إذن فالقول بالإمامة وعدمه لا علاقة له بالجامعة الإسلامية وأحكامها من حرمة دم المسلم وعرضه وماله، ووجوب أخوته، وحفظ حرمته، وعدم جواز غيبته الى كثير من امثال ذلك من حقوق المسلم على أرضه».

ثم تعرّض لرأى بعض الشيعة من مسّ كرامة الخلفاء وقال فليس هذا رأي جميع الشيعة وأنّما هو رأي فرديّ من بعضهم وربّما لا توافق عليه الاكثرية كيف وفي أخبار الشيعة النهي عن ذلك فلا تصحّ معاداة الشيعة أجمع لإساءة بعض المتطرّفين منهم..

ومن العجب أنّ للاستاذ الأكبر الشيخ عبدالمجيد سليم أيضاً مقالٌ بعنوان «بيان للمسلمين أيضاً» [1]. وجهّه إلى المسلمين بمناسبة دخول مجلة رسالة

الإسلام عامها الخامس تجديداً للعهد بين جماعة التقريب وإخوانهم من كلّ طائفة على الإيمان وعمل الصالحات والتّواصي بالحق والتّواصي بالصبر، قال رحمه الله:

«يا أبناء الإسلام إنّ الله قد اصطفى لكم هذا الدّين، وجعله خاتمة الرسالات التي بعث بها الأنبياء، وخصّكم بالرسول الأكرم الّذي بشّر به الأنبياء من قبله - وأدام الكلام في خصال الإسلام، وأنّه مرَّ على المسلمين حينٌ من الدهر كانوا عاملين بشريعتهم معتصمين بكتاب ربهم، سائرين على سنّة رسولهم.. كانوا يومئذ أمّةً واحدة وإخوةً متصافّين.. وهذا كان سرّ نجاحهم - الى أن قال - فلمّا أصيبت بالتفرّق واتّباع الهوى.. أدركها الضَّعف والتزلزل وطمع فيها الأعداء.. ولقد طال عليهم الأمد وهي في هذه المحنة، ولولا قوّة بنائها وسلامة أسسها لهُدم ذلك البنيان وانهارت تلك الأركان، ولكن الله جلّت حكمته يريد بذلك تمحيصها - ومعاذ الله أن ييأسَ المؤمنون من رَوح الله فإن الله يحيي الأرض بعد موتها...».

ثم قال: «ولقد سرّني ما اتجّه إليه زعماء المسلمين وصفوة مفكريهم من الدعوة الى عقد مؤتمرات للنظر في احوال الأمة الإسلامية من جميع نواحيها والعمل على توحيد كلمتها، ومناهج الاصلاح فيها - إلى أن قال - : إني لأرجو التوفيق والنّجاح لهذه الدعوات وأسأل الله تعالى أن يهيّئ للمسلمين من أمرهم رشدا...».

ومن الطريف أن عالماً كبيراً من علماء الشيعة في تلك الأيام - وهو العلاّمة الشيخ محمد صالح السّمناني - خاطب المسلمين في كتاب طويل له الى دار التقريب بقوله «إلى اخواننا المسلمين» [١٢] ذكر فيه أهم مايجب رعايته في

التقريب بين المذاهب، وهو تدوين الكتب الاربعة للشيعة والصحاح الستة لاهل السنة في ملف واحد ليعملوا بها جميعاً.

ومن أهم ما وهبنا العلاّمة القمي رحمه الله الامين العام لدار التقريب خلال ابحاثه القيمة في مجلة رسالة الاسلام مقالٌ له بعنوان «وحدة المسلمين حول ثقافة الإسلام»[١٣]. أكد فيه على ناحية مهمّة مما يجمع المسلمين من أيّ مذهب، وفي أيّ ناحية: ألا وهي الثقافة الإسلامية الواحدة فللمسلمين جميعاً سننٌ واحدة في التعليم والتعلّم وبناء المدارس والمساجد وتأليف الكتب في نواح مختلفة من العمل والأدب والأخلاق والكلام والتفسير وغيرها، وفي قراءة القرآن وحفظه والاهتمام به في جميع أمورهم.

وهناك تجد أبحاثاً قيّمة في العقيدة والشريعة للعلامة الشيخ محمد جواد مغنية ناقش فيها كثيراً مما اختصت به الشيعة مثل التقيّة، ورفض العمل بالقياس، والخلاف في مسائل العقيدة، وكذا موقفهم من الغلاة - و هذا ما اتهمهم بعض من لا خبرة له بمذهبهم من أهل السنة - وكذلك التأكيد على أن أهل السنة يحبّون آل البيت كالشيعة ويفتخرون بالانتساب إليهم في الأقطار الإسلاميّة، وأن أعداء آل البيت قد انحصروا في رجالٍ من بني أمية وأتباعهم وبعض فرق الخوارج وقد انقرضوا بحمد الله، فلن تجد مسلماً من أهل السنّة وغيرهم في هذا اليوم يبغض آل البيت عليهم السلام.

وقد قال رحمه الله - في سبيل اتفاق المسلمين في الأصول وأن اختلفوا في الفروع - في مقال له بعنوان «القياس عند ابن حزم والشيعة الإماميّة»[١٤]: «اتّفقت المذاهب الإسلاميةعلى أنّ واجب الفقيه إذا أراد أن يعرف حكم واقعة من الوقائع أن يبحث عنه أوّلا وقبل كلّ شيء في الكتاب والسنّة، وإذ يتّفق الفقهاء

على هذا الأصل، ويرونه ضرورة دينيّة لا يقبل الإجتهاد والتقليد...».

وقال في مقال آخر [١٥]: «إنّ الشريعة الإسلاميّة لم تستخرج من الوهم والخيال بل لها اصول مقرّرة لا يختلف عليها مسلمان مهما كان مذهبهما، وإنّما الخلاف والجدال بين المذاهب حصل فيما يتفرّع عن تلك الأصول».

وقال في مقال آخر له بعنوان «قاعدة الحلّ والطهارة» [١٦]: «عمل بهذا المبدأ علماء الشريعة الإسلاميّة، وجعلوه أصلاً مستقلاً للتشريع».

سابعاً - حديث موجز عن مؤسسة أخرى للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة بايران:

وهي «المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميّة» أسس قبل ١٤ سنة بأمر القائد الإمام السيّد عليّ الخامنئي حفظه الله بطهران. وكنت أول أمين عامّ له، وكان له أعمالٌ عظيمة تبع فيها جميعاً «دار التقريب» فنشر بعض منشورات «دار التقريب» مثل مجلتها (رسالة الاسلام) دورة كاملة ٦٠ عدداً في ١٥ مجلداً، كل أربعة أعداد في مجلّد واحد، ومثل تفسير مجمع البيان للإمام الطبرسي الذي صحّحته دار التقريب ونشرته مع مقدمات له من الإمامين: الشيخ عبدالمجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت، ومن العلامة القمي وخاتمةٍ للشيخ عبدالعزيز عيسى، وكان مسؤول مجلة «رسالة الاسلام» والمُشرف على كلّ منشورات «دارالتقريب»، وقد جُدّد طبعه بالأفست تحت إشرافي، ولي مقدمة لهذا التفسير القيّم جاءت في أوّله، ولله الحمد.

وللمجمع العالمي للتقريب منشورات أخرى منها مجلّة فصلية باسم (رسالة التقريب) تجد فيها أبحاثاً حول الوحدة والتقريب وغيرها بقلم كبار العلماء من الشيعة والسنّة.

ولهذا المجمع «مؤتمر الوحدة» في كلّ سنة أيّام مولد النبيّ عليه السلام، يشترك فيه أئمّة وباحثون من الأقطار الإسلامية وغيرها من أوروبا وآمريكا وغيرها، وعندنا الآن مجلّدات من أبحاث هذه المؤتمرات باللغة الفارسيّة والعربيّة والانجليزية.

ثامناً - خاتمة المقال: يجب أن نشير مع الأسف الشديد إلى ماحدث منذ القرون السّالفة بين اتباع المذاهب الإسلاميّة، ولاسيّما بين السنّة والشيعة من العداء والفرقة التي انتهت أحياناً إلى التضارب والتقاتل والتلاعن والتباغض نشأت من جهتين: الجهالة والسّياسة:

أما الجهالة وأعني بها جهل كل من الفريقين السنّة والشيعة بحقيقة مذهب الآخر في أشياء تُبعدهم وتنفّر بعضهم من بعض.

فأهل السنّة - اقصد ممن لا خبرة له منهم - يزعمون أنّ للشيعة قرآناً آخر، أو أنهم يعتقدون بتحريف الكتاب، أو أنّهم يكفّرون الصحابة، أو يُخرجون أهل السنة عن الإسلام إلى غير ذلك من الأوهام الباطلة وأيضاً لا يفرّقون بين الشيعة وبين الغلاة فيحسبون جميع الشيعة غلاةً.

وعوام الشيعة وممن لا خبرة له في الإسلام والمسلمين يزعمون أن أهل السنة أعداء آل البيت وأعداء الشيعة، إلى غير ذلك من المزاعم الباطلة التي نشأت من جهل الطرفين لعن الله الجهل والعمى ماذا يحكمان؟!

وقد علمنا علم اليقين من الأبحاث السابقة أنها جميعاً أوهام فاسدة.

وأمّا السّياسة: فقد عملت طيلة الأيام من قِبَل الحُكّام عَمَلها، فإنّها كانت مبنيّة على «فرّق تَسُد» فترى التقاتل بين الحكومات السنيّة والشيعية قديماً وحديثاً أمراً ثابتاً ودائماً، كالتنافر بين بني أمية وآل علي وبين آل العباس وآل

علي، وبين البويهيّين والسّلاّجقة، وبين الفاطميين والعباسيين، وبين الخوارج في افريقيا وآسيا، والحكّام في القرون الأولى حتى جاء دور العثمانيين والصفويين «فزادا في الطنبور نغمة أخرى». ومثلها حدثت في شبه القارّة الهندية بين الحكومات الشيعيّة والسنيّة.

فنحن الآن وارثون لما تركته الجهالة والسياسة من سوء النظر والتباعد بيننا؛ فيجب البحث عن حقيقة المذاهب والاستماع الى خبراء كل مذهب لنصل الى الحقيقة ونتخلص من التعصّب والعداء وننتقل الى الألفة والإخاء ان شاء الله تعالى، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الهوامش:

١ - الكافي، ط المكتبة الإسلاميّة ، ج٢، ص ٢٤ ومابعدها.
٢ - نقلاً عن مجلة رسالة الإسلام، ج ٥، ص ١٦٥.
٣ - بعد رسالة الاسلام ، ص ١٤١.
٤ - طبع جامعة المدرسين. بقم ص ٤٥.
٥ - مسائل الخلاف، ط جامعة المدرسين في (قم) ج ١، ص ٤٥.
٦ - تلخيص الخلاف، ط ، ٣م ج ١، ص ١٩.
٧ - طبع قم ، ص ٢٠. وكان لنا مشاركة في تصحيح هذا الكتاب مع جماعة من أساتذة كليّة الالهيات بجامعة مشهد وقد ذكرت أسماءهم في المقدّمة، وقد توفوا جميعاً غيري ولله الأمر، وبيده أزمّة الأمور.
٨ - من خطاب الإمام الخميني (قدس) في ١٣٥٩/١/١١هـ . ش .
٩ - مجلة رسالة الاسلام ، ج ١١، ص ٢٢٨.
١٠ - رسالة الاسلام ، ج ٢، ص ٢٦٩.
١١ - رسالة الإسلام، ج ٥، ص ٣٠.
١٢ - رسالة الإسلام ، ج ٣، ص ٤٠٣.
١٣ - رسالةالإسلام، ج ١، ص ١٠١.
١٤ - رسالة الاسلام، ج ١٢، ص ٢٥٧ .
١٥ - رسالة الإسلام، ج ٤، ص ٣٦٦.
١٦ - رسالة الإسلام، ج ٤، ص ١٥٧.